إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثانية – العدد الخامس – ربيع ۱۳۹۱ش/آذار۲۰۱۲م

العرفان عند رضیّ الدین آرتیمانیّ؛ رؤیة نقدیة

زرین تاج برهیزکار*
فاطمة حیدری**

الملخص

یعتبر العرفانُ معرفةً تقومُ علی أحوال وحالات روحانیة یرتبط الإنسان من خلالها بالوجود المطلق دون أیّ وساطة تُذکر. وبناءً علی هذا التعریف، یظهر کلامُ العارف – شعراً کان أم نثراً– کبیان عن تجارب عرفانیة اکتسبها خلال سلوکه العرفانی، أو نظرته الخاصة بالخلقة والکون علی أساس تلک التجارب العملیة. ولهذا نری أنّ کلامه یفوق مستوی العالم الواقعی ویخترق المحسوسات، بحیث لم یُدرِک أقوالَه إلا مَن کانت لدیه إمکانیةُ الاستیعاب والفهم من خلال التعالیم الحقة. یتعرّض هذا المقالُ مع رؤیة نقدیة بدراسة العرفان عند رضیّ الدین آرتیمانی.یعتبر رضیّ الدین آرتیمانی عارفا ربانیا عاش فی النصف الثانی من القرن العاشر الهجری والذی قد اشتهر بدیوانه وساقی نامته فی عهد شاه عباس. فلاقت "ساقی نامة" التی نظمت فی قالب مثنوی شهرة واسعة بین أشعار رضیّ الدین آرتیمانیّ وذلک بسبب روح الرأفة والعاطفة التی تخیّم علیها.

الکلمات الدلیلیة: العرفان، الوجود المطلق، کلام العارف، التجارب العملیة، التعالیم الحقة، ساقی نامة.

---

*. أستاذة مساعدة بجامعة آزاد الإسلامیة فی کرج، إیران. Parhizkar@kiau.ac.ir
**. أستاذة مشارکة بجامعة آزاد الإسلامیة فی کرج، إیران.
التنقیح والمراجعة اللغویة: د.مهدی ناصری
تاریخ الوصول: ۱۳۹۱/۳/۳هـ. ش تاریخ القبول: ۱۳۹۱/۳/۱۸هـ. ش

المقدمة

تصلُ أشعارُ الصوفى المسلک فى عهد التصوف رضىّ الدين آرتيمانىّ إلى ما يقاربُ ألفَ وخمسمائة بيت.وتصنّفه كتب التواريخ من جملة السادة الأشراف وأصحاب الأخلاق الحميدة، كان يُعرف بفصاحة اللسان، ولد فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى فى آرتيمان من توابع تويسركان. يبدوأنّ عائلة رضىّ كانت تتذوق الشعر، فقد كان خان أحمد خان (جد رضىّ) وأحد أنجاله (ميرزا إبراهيم) وعدد من أحفاده من أمثال ميرزا عبد الباقى وميرزا هاشم وميرزا كاظم وميرزا أبوالحسن، من الشعراء. فيشملُ شعرُ رضىّ القصائدَ، والمقطوعات الغزلية، وترجيع بند، ورباعى، ومفردات، وساقى نامة وسوكند نامة. ويقصد من المعشوق فى أشعاره ذات البارى تعالى وهدفه الوصول إلى ساحة الألوهية.

عصرُ الشاعر رضىّ

عاصرَ الشاعرُ رضىّ فترةَ الصفويين. وتُعتبر هذه الفترةُ من أهمّ الفترات التاريخية فى إيران. وتقارنت فترةٌ من فترات حياته مع عهد شاه عباس الأول (النصف الأول من القرن الحادى عشر) ذلک الرجل الذى ازدهرَ الاقتصادُ فى عهده من خلال توفيره الأمنَ وتأمين الطرق وبناء الخانات... وبناء المبانى والمساجد والجسور والبساتين وتخطيط المدن و... لم يساهم فى ارتقاء الفن المعمارى فحسب وإنما وفّر الراحةَ والرغد فى عيش الناس.

وتُعتبر فترة الصفويين بوجه عام ودون الأخذ بنظر الاعتبار فترة شاه عباس الكبير الحافلة بالمفاخر، فترةً عصيبة. فعلى سبيل المثال، وإن استطاع شاه إسماعيل إنهاءَ الإقطاعية وتوحيد الشعب عقائديا ودينيا بعد الإعلان عن مذهب الشيعة كمذهب رسمى فى البلاد، إلا أنّ هذه الفترةَ سجّلت كثيرا من التراجع فى المجالات المختلفة الأدبية منها: العلمية والاجتماعية والفكرية. أضِف إلى ذلک ما كانت تعانى منها هذه الفترةُ من الظلم والأعمال المخزية والشائنة فى معاقبة الناس وانتشار الأفيون والشراب والتى أصبحت نهايةً مؤلمة لفترة كانت قد تمتاز بداياتُها بالبطولات التى يشهد لها التاريخُ بذلک.

«إذا ما وضعنا حسنات وسيئات العهد الصفوى فى ميزان لتقييمها، لوجدنا السيئاتِ تفوق الحسناتِ، فهى فترةٌ بدأت قويةً عسكرياً ولكنّها انتهت بوضعٍ لا يُحسَدُ عليه... عهدٌ بدأ بالثروة والتنسيق والترتيب وانتهى بالفاقة والفقر والفوضى.» (صفا، ۱۳۷۳ش: ۵/۶۲)

بدأ العهد الصفوى بنهضة قام بها جماعةٌ من الصوفية، وانتهى بفترة مناقضة ومخالفة لأهل التصوف واستمرّ هذا الوضعُ حتى بداية فترة حكم محمد شاه قاجار الملكى (۱۲۵۰ق). ومن جهة أخرى أدّت سيطرةُ العلماء والفقهاء على الأمور إلى منع انتشار التصوف وتوسيع الخانقاه والخانقاهيين.

وقد بقى من التصوف فى هذه الفترة ألقابٌ مثل (صوفى أعظم)، (خليفة سلطان)، و(مرشد كامل). (ومرشد كامل هو الاسم الوحيد الباقى من آداب السلوك المنسوب للجدّ الكبير الشيخ صفى الدين الأردبيلى)، ولكن المضايقات والتعصبات لم تفلح فى التقليل من هذه الرغبة الفطرية فى الإنسان الإيرانى التى تقوده إلى هذا النوع من الأيديولوجية.

سيرته وحياته

ولد سيد محمد المتخلّص بـ(رضىّ) فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى فى (آرتيمان) من توابع تويسركان. وقد اعتَبر غالبيةُ المؤرخين الملمّين بأحوال رضىّ آرتيمانىّ أنّه من أهل الذوق والعرفان.

«كان العارف الربانى سيد رضىّ آرتيمانىّ الذى اشتهر بديوانه وساقى نامته فى عهد شاه عباس، كان من قرية آرتيمان.» (شيروانى، لاتا: ۱۹۲) «...كان مير رضيّآرتيمانىّ من السادة الأشراف وحسن الطبع وفصيح الكلام، متذوّقاً للعرفان ومدركاً بمراتب السلوك....» (قدرة الله، لاتا: ۲۶۴) «إن ميرزا رضىّ آرتيمانىّ آية من الزهد وليس لصلاحه ووسعة ذوقه حدٌّ يمكن تعيينه، وبالتواضع موصوفٌ وبالتضحية معروف، وصاحب

كمال فی عهده، بلغ رتبة من الشعر.» (سفينة خوشكو) «إن ميرزا[۱] رضیّ آرتيمانیّ كان زعيمَ العرفاء وسيد المعرفة، ورغم القيود والحيلة، إلا أنّ وسعةَ ذوقه لم تجد النهاية، جمع التواضع والروح العرفانیّ معاً.» (تذكرة ميخانة، نصر آبادی)

غادرَ رضیّ فی أيام شبابه مسقطَ رأسه الذی كان من توابع تويسركان، إلى همدان طلباً للعلم. وأصبح أحدَ تلامذة (مرشد بروجردی)[۲] (م۱۰۳۰). ويُعتبر عبد الباقی نهاوندی مرشدی بروجردی هذا، من مريدی ميرزا إبراهيم حسنی همدانی وهو أحد روّاد التصوف فی تلك المنطقة. وإن كان ذبيح الله صفا يعتقد بأنّ رضیّ التقی بنفسه مباشرة ميرزا إبراهيم.» (صفا، ۱۳۷۳ش: ۵/۱۰۶۹)

لم يُذكر اسمٌ لميرزا إبراهيم فی ديوان رضیّ، ولكنه يَعتبر نفسَه فی مقطوعة غزلية مجنونا بحب مرشد بروجردی:

رضی سان چه باک ار ندارم خرد كه من در جنون ''مرشد'' كاملم

-رضیّ لايخشی من ألا يكون لديه عقل مادام فی جنون ''مرشد'' كاملاً.

على كل، فبَعد مغادرة مرشد إلى شيراز، غادرَ رضیّ إلى أصفهان وحسب ما جاء به سيّد على حسن خان فی ''صبح كلشن''، أنه أصبح كاتبا فی ديوان شاه عباس الكبير وتزوّج إحدى الفتيات من سلالة الصفويين.

وبعد حصوله على براءة شيخ الإسلام فی تويسركان وضواحيها، عادَ إلى مسقط رأسه وظل منشغلاً فی أداء الوظائف الدينية إلى آخر حياته وفق ما جاء فی منتظم ناصری عام ۱۳۰۷ق.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

أشعار رضیّ

يبدو أنّ التذوقَ الشعریّ كان وراثياً فی سلالة رضیّ، فهذه الأبيات لجده خان أحمد

---

۱. قد جاءت فی نسخة إمامی المطبوعة: «إنه وفق اسم (مير رضیّ آرتيمانی)، ووفق ما نقله المؤرخون، يبدو أنه سيد علوی. ويبدو أنّ إضافة كلمة ميرزا تدلّ على أنه كان يعمل فترة كاتباً فی مكتب شاه عباس الصفوی.» مقدمة: ۱۲.

۲. فيما يخص أحوال مرشدی بروجردی والتعرّف على شعره يمكن الرجوع إلى تاريخ الأدب فی إيران، ج۵: ۱۰۳۵ - ۱۰۳۹.

خان:

از دست زمانه بین که چون می گریم　　از گـــــردش چرخ واژگون می گریم
بین طرفه که مانند صراحی شب وروز　　در قهـــــقهه ام ولیک خون می گریم

– اُنظر کیف أبکانی الدهرُ وأنا بالمقلوب أبکِی من دورة الأیام.

– اُنظر إلی حالِی کصراحیة اللیل والنهار، أبدوضاحکا ولکنّی أبکِی بدلَ الدموع دما.

وکان لخان أحمد خان أخٌ یُدعی سید شاه مرتضی وهوشیخ الإسلام أیضاً وکان یُنشد الشعر. ومن ناحیة أخری کان أحد أولاد میرزا إبراهیم المتخلص بأدهم – التی کانت والدته من سلالة الصفویین– متذوقاً للشعر، ولکنه وقع فی السجن بسبب ارتکابه أعمالا غیر أخلاقیة وتعاطیه المخدرات، وسوء الأدب والتحلل، حتی تُوفِّی فی الهند عام ۱۰۶۰ق ومن أشعاره:

مرا زاهدی سوی محراب خواند　　ز زهدش دماغ دلم خشک ماند
ندا آمد از ســـــــوی میخانه ام　　کـــــه ای ادهم مست ودیوانه ام
تو را کی سرو کار با زاهد است　　تو شاهد پرستی خدا شاهد است

– دعانِی أحدُ الزهاد إلی المحراب، أزعجنی ذلک الزهد.

– جاء هاتف من الحانة یقول أیها الإنسانُ إنک فی سکر وجنون.

– أین أنت من الزهد، أنت رجل شهادة والله شهیدٌ علی ذلک.

وقد جاء فی کتب التواریخ اسمُ عدد من أحفاد رضیّ من الشعراء کمیرزا عبد الباقی، ومیرزا هاشم، ومیرزا کاظم ومیرزا أبوالحسن.ویشملُ دیوانُ شعر رضیّ القصائدَ، والمقطوعات الغزلیة، وترجیع بند، والرباعیات، ومفردات ساقی نامة وسوکند نامة؛ فتبلغ أشعارُه بالمجموع إلی ألف وخمسمائة بیت. وهناک بعضُ أبیات تجده غیر سلیمة فی دیوانه مثل هذین البیتین:

تو بدین چشم شوخ وروی چو ماه　　ببـــری دل زدست سنگ سیاه(!)

– أنت بتلک العینین الفاتنتین والوجه کالقمر، یُغرَم بک حتی صاحبُ القلب القاسی.

بس حرف که بر رضی گرفتیم　　بعـــــضی سخنان گرفت ما را

– کم انتقدنا کلاما من رضیّ ولکن بعض هذه الانتقادات أصبحت ضدنا.

وهما من مطلع هذا البیت:

شـــعر نه چنان گرفت ما را　　کز دوست توان گرفت ما را

– لم یتمکن الشعر من جذبنا إلیه بقدر ما لدی الحبیب من قدرة الجذب.

ولوجود هذه الأبیات اعتَبر الدکتورُ صفا، شعرَ رضیّ (من المتوسط إلی الردیء أحیاناً)، ولکن المضامین العامة فی أشعاره تدلّ علی أفکاره العرفانیة والتذوق والوجد الناتج عن هذه الأفکار:

مـگر شور عشقت زطغیان نشیند　　کـه بحر سر شکم ز طوفان نشیند

عجب باده ی خوشگواریست کـه　　در خـــون گبر و مسلمان نشیند

نشسته است ذوق لبت در مـذاقم　　چو گنجی که در کنج ویران نشیند

رضی شد پریشان آن زلف یا رب　　پریـــــشان کننده پریشان نشیند

– وهل یهدأ جوی حبّک من طغیانه حتی یهدأ البحرُ الهائج من طوفانه.

– یا لها من خمرةٍ لذیذة یستلذّ بطعمها کلُّ کافر ومسلم.

– تذوقُ فمُک فی ذائقتی ککنز فی الأنقاض.

– قد هامَ رضیّ بالصُدغ یا ربّ، والمشوّش الطائش مازال فی محنة.

***

داند آن کس که ز دیدار تو برخوردار است

کـــه خرابات وحرم غـیر در و دیوار است

ای کـــه در طور ز بـی حوصلگی مدهوشی

دیده بـــگشای کـه عالم همگی دیدارست

همه یا مال تو شـد خواه سر و خواهی جان

وآنچه در دست من از تست همین پندارست

برخور از بـــــاغچه حسن که نشکفته هنوز

گـــل رســـوایی ما از چمن دیـــدارست

باور از مات نیاید به لب بام درآی تا ببینی
که چه شـــور از تو در این بازار است

– هل یعلم مَن یتمتّع بلقائک أنّ الأطلال والحرم لیس بالجدران والأبواب.

– ویا مَن فی طوره متحیر مِن شدة الحیرة، تَبصَّر فإنّ العالَم کله مشاهد.

– الکلُّ أصبح ملککَ، فالرأس والنفس کلاهما ملک لک وما أملکه أنا منک هو هذا التصور.

– تناوَل مِن روضة الحسن فإنها لمّا تزهر بعدُ، واللقاء یُخزینا ویفضحنا.

– أخرِج من الضباب إلی الوضوح لکی تشاهد ما أصیب به الخلقُ من وجدک.

***

درعشق اگـــر جان بدهی جان آنست ای بی سر وسامان سر وسامان آنست
گـــر در ره او دل تـــــو دردی دارد آن درد نـــگه دار کـــه درمان آنست

– أیها الحبُّ إن فارقت النفس فإن النفسَ هی الحب، واعلم أیها المتیّمُ أنّ ذلک هو الوصول.

– إن کان قلبک یتألّم فی هذا الطریق، فاحتفظ بالألم فلیس له من علاج ولا سبیل.

***

از دوری راه تـــا بـــه کـی آه کنی وز رهـــرو رهـــزن طلب راه کنی
یا رب چه شود که بر سر هستی خود یک گـــام نهی وقصـــه تـــمام کنی

– إلی متی تتألم من بُعد الطریق وتطلب من قاطع الطریق أن یدلّک علی الطریق.

– یا ربّ هل من سبیل فی أن تتقدّم بخطوة فی الکون وتُنهِی القصة.

تجدرُ الإشارةُ إلی أنّ أسلوب نظم الشاعر رضیّ، وإن کان مصنّفا من ناحیة الزمان والمکان علی النمط الهندیّ، ولکنّه یخلو من المیزتین اللتین یمتاز بهما الأسلوبُ الهندیّ وهما؛ التعقید اللفظی والإبداع فی الکلام لاسیما لدی بعض الشعراء. إنّ کلام الشاعر رضیّ سهل ورسل فکان یسعی فی استخدام المعانی کی یقتدی بالشعراء الکبار من العرفاء مستعیناً بالأدوات الشعریة لبیان حسه الباطنی.

يَعتبر (هرمان آتيه)، الشاعرَ رضىّ «من جملة الشعراء الذين لم يتصنّعوا فى الأوزان والقوافى ولم يتقيّد فيهما ما يجعلنا نشعر بأنه يُنشد الشعرَ من أجل عرض الحقائق والبوح عن الإحساسات، وليس للحاجة والتكليف من مكان فى وجود الشاعر.» (آتيه، لاتا: نقلا عن مقدمة ديوان رضىّ، تصحيح محمد على إمامى) وكانت هذه فى الواقع خصوصيةً يتميّزُ بها أغلبُ الشعراء الذين مكثوا فى إيران فى ظل الحكومة الصفوية، ولم يغادروا بلدهم إلى بلاط الهند.ويمكن اعتبارُ لجوء العرفاء إلى الشعر فى بيان التعاليم وعرض الشهودات، سَواء كانت بهدف التعليم أو غيره، ناتجةً عن إدراكهم لحقيقةٍ أنّ الذوقَ الإيرانى يُفضّل الشعرَ لطبيعته الثابتة فى التأثير.

كما أنّ بيان التجارب العرفانية وعرض الفكرة الناتجة عن نظرة العارف للكون التى يحصل عليها إثرَ تجاربه العملية وتنحصر به دون غيره، تفتح للشاعر آفاقاً جديدة تجعل كلماتِه تجتاز المحسوساتِ المدركة فى العالم المادّىّ، ما يؤدّى بذاته إلى تحويل الكلمات إلى رموز. وإن لم تكن لدى الشاعر وأمثاله من الشعراء معانٍ معيّنة فى هذا الخصوص، ولكن وبدون ترديد أصبحت الرموز المكرّرة فى عبارات الحب العرفانىّ بالأخص فى الشعر، مبنى يلجأ إليها مَن لايمتلك أىَّ تجربةٍ عملية. ولانقصد من هذه العبارة أنّ شاعرنا رضىّ قد اكتسب الذوقَ الناتج عن المفاهيم العرفانية دونَ تجربة عملية يخوضها كلُّ سالک طريق، متأثراً بالشعراء العارفين الكبار السابقين لعهده، وإنّما لايمكن مقارنتُها مع تلک المفاهيم التى سبقته فى كلام هؤلاء الشعراء.

ويصف رضىّ معشوقَه بتلک الكلمات التى عبّر عنها الشعراءُ السابقون، فمحبوبه هو الذات الإلهية الأزلية وهدفه الوصولُ إلى ساحة الإله المقدسة.

يَعتبر رضىّ نفسَه فانياً فى طريق الكمال فالوصول كلُّه وجدٌ وشوق:

مـــن فاش كنم حقيقت خود را　　هـر كس هر چند گويد من آنم

من شخص نيم، شرارى از شوقم　　من جسم نيم رضى كه بى جانم

– أنا أُفشِى حقيقتى، وأنا سأكون كما كنت مهما قالوا عنّى.

– أنا لستُ شخصاً، بل جمرةً من الشوق ولستُ جسماً بل بلا روح.

***

وشأن رضیّ کشأن سائر العرفاء فی تضادّ العقل والحب، یَعتبر البرهانَ والعقل حاجزاً فی الوصول إلی الحق:

مگو هیچ با ما ز آییـــــن عقل که کفرست در کیش ما دین عقل

– لاتُحدِّثنا عن العقل وأصوله، فلیس للعقل مکانٌ فی قاموسنا وهو کفرٌ فی عقیدتنا.

***

ای که در ره عرفان مستمند برهانی تـــــرسمت چو خر در گل فرومانی

– یا مَن بحاجةٍ إلی البرهان فی طریق العرفان، أخشَی علیک من التعب کالحمار فی الوحل.

***

صد شکر که نیستم من از بی خبران گـه مست ز وصالم وگهی ز هجران

دانـــــــشمندان تمام گریان بر مـن خندان مـــن دیـوانه به دانشمندان

– ألفُ شکرٍ أنّی لستُ من الجاهلین، أحیاناً تجدُنی ثَملاً من الوصول وأخری ثَملاً من الهجر.

– جمیعُ العلماء یبکوننی وأنا المبتسمُ المجنون بهم.

ویبدو رضیّ کسائر الشعراء الذین سلکوا طریقَ العرفان کحافظ الشیرازی، معتبراً المسجدَ والخرقةَ إشاراتٍ لکید واحتیال الزاهد المُرائی:

سبحه زهد وسالوسی خرقه زرق وشیادی

آه از ایـن خدا پرستی، داد از ین مسلمانی

– سبحةُ التزهد والتملّق وخرقةُ الاحتیالِ الزاهیةُ، آه مِن هذا التعبّد، آه مِن هذا الإسلام.

***

رخ ای زاهد از می پرستان متاب تو در آتش فتاده ای ما در آب

– أیّها الزاهدُ لاتُدیِّر وجهَک عن الخمّارین، فإنک مُلقَی فی النار وهم فی الماء مُلقَون.

***

از این دین به دنیا فروشان مباش به جز بنده ی ژنده پوشان مباش

– لاتكن فی هذا المذهب من الدنيويين، وكُن خاضعاً فقط لأصحاب الثياب البالية.

يَعتبر رضىّ نفسَه فی طريق السلوک العرفانىّ أكثرَ تقدّماً من جنيد البغدادی وبايزيد البسطامی!

ره فـــقر وفنا را آن چنان در پیش بگرفتم

که واپس ماند بسیاری جنید و بایزید از من

– سلكتُ طريقَ الفقر والفناء حتى استغرب جنيد وبايزيد منّى.

ولكنه من جهة أخرى يظهر كمعلم للأخلاق يحذّر من الدنيا الفانية التى يعبّر عنها بالنفس الواحد (بطرفة عين واحدة) رغم وسعها واصفاً إياها بمكان التعب والمشقة:

جهان منزل راحت اندیش نیست ازل تـــا ابد، یک نفس بیش نیست

سراسر جهان گیرم از تست وبس چه می خواهی آخر از ین یک نفس

– ليس العالمُ مكاناً للراحة، ومن أزله إلى أبده كلُّه طرفةُ عين واحدة.

– وليكُن العالمُ كلُّه لک أنت وحدک، ولكنک ماذا تريد من هذه الدنيا؟!

ويرى كسائر المتقدمين أنّ الفلک هو المسؤول عن الحرمان وخيبة الآمال، ولهذا يطلب الخلاص من الخالق.

فلـک بین که با ما جفا می کند چه ها کرده است وچـه ها میکند

بـر آورد از خاک ما گرد ودود چـــه می خواهد از ما سپهر کبود

نمی گردد این آسیا جز به خون الـــهی که برگردد ایـــن سرنگون

– اُنظر إلى الفلک كيف يظلم بحقنا، اُنظر ماذا فعل وماذا يفعل.

– قد أثارَ الغبارَ مِن أرضنا، فماذا يريد هذا الفلکُ منّا.

– فلاتدورُ الرَّحَى إلا بالدم، إلهى رُدَّ هذا الانكبابُ.

ويرى رضىّ نفسه أحياناً مستسلماً أمام القضاء والقدر:

هیچ کاری نشد به تـــدبیرم چه کنم چه کنم، مبتلای تقدیرم

با قضا من نه مرد مصلـحتم بـــا قدر، من که وچه تدبیرم...

– لم يَحصل شيءٌ بإرادتى وتدبيرى، ماذا أفعل فأنا متورِّطٌ بالقدر.

– مع القضاء، لا أنا رجل منفعة، ومع القدر مَن أنا وما هو تدبيرى.

وتشتهر (ساقى نامة) من بين أشعار رضىّ بما تحمله مِن رقة العواطف، وإن كان عددُ أبياتها أقلَّ من بقية ساقى نامات العهد الصفوى.

ساقى نامة[١]:

يُمكنُ الحصولُ على كتابة ساقى نامة فى خمريات رودكى ومنوتشهرى، ولكن الشاعر نظامى اشتهر بأنه أولُ من أنشدَ هذا النوع من الشعر، وإن لم تأتِ ساقى نامته بصورة مستقلة وإنما ينبغى الحصولُ عليها من خلال منظومته ''اسكندر نامة''[٢].

ونستثنى هنا ساقى نامة حافظ فى القرن الثامن الهجرى:

بيا ساقى آن مى كه حال آورد كـــــرامت افــزايد كمال آورد

– تعالَ أيها الساقى، فإن المُدامةَ أتَت بالفرح والسرور وستزيد من الكرامة وبها يتحقق الكمال.

فى الواقع بدأت كتابةُ الساقى نامة المستقلة منذ طليعة القرن العاشر فى عهد الصفويين، حيث اعتُبِر أميدى طهرانى (٩٢٩ق) رائداً لها.أصبحت كتابةُ الساقى نامة أحدَ الأصول الشعرية فى القرن العاشر الهجرى وما بعده وقلّما نجدُ شاعراً لم يَخُض فى تجربة كتابة هذا النوع من الشعر. وتُستخدم الساقى نامة كسائر الأشعار القديمة لبيان العواطف، مؤكدةً على عدم ثبات العالم وبطلانه، والتذكير بفناء الإنسان وهناك إشارةٌ فيها إلى حالات التزوير والرياء، واللجوء إلى شرب الخمر والسكر هروباً من الواقع الملىء بالمصائب والنوائب التى تحلّ بالإنسان وكذلك الوصول إلى مرتبة الفناء وفى النهاية الوصول إلى ساحة الإله.

وأما الشراب الذى نجده فى ساقى نامة، فهو عبارةٌ عن مرتبة الشهود الذى يَنقل الإنسانَ من مرحلة المُجاذبة إلى الحقيقة. وتمتاز الساقى نامات فى هذه الفترة بالمدح،

١. نوع من الشعر يوجّه الشاعرُ فيه الخطابَ إلى الساقى.

٢. جاءت هذه الساقى نامة بصورة مستقلة مشتملة على ٢٠٠ بيت، فى تذكرة ميخانة.

سَواءً مدح الأئمة لاسيما الإمام الأول للشيعة أو مدح الملوک.

يَصلُ عددُ أبيات الساقی نامات إلی مائةٍ وفی بعضها إذا کانت تفصيلية، تصلُ إلی آلاف بيت (تحتوی ساقی نامة ظهوری علی أربعة آلاف وخمسمائة بيت). ولکن تصلُ أبيات ساقی نامة الشاعر رضیّ إلی ما يقارب ۱۷۵ بيتاً، يبدأها باللجوء إلی الحضرة الإلهية وبأداء اليمين (بملک نجف، وبضياء قلوب العاشقين، وبالعارفين والقلوب الحزينة).

الـــهی بـــه مـــستان ميـــخانه ات　　بـــه عقل آفـــرينان ديوانه ات
به دردی کـــش لجّه ی کبـــــريا　　که آمد بـــــه شأنش فرودان ما
به دردی کـــه عـــرش است او را　　به ســـاقی کـــوثر، به شاه نجف
صـــدف بـــه نور دل صبح خيزان　　ز شـادی به انده گـريزان عشق
عشق به رندان سر مست آگاه دل　　کـــه هرگز نرفتند جـــز راه دل

– إلهی أقسِمُک بسُکاری حانک وبأصحاب العقول المجانين.

– أقسِمُک بالمتألم والمتعذب بکبريائک وما أصابه من الانحطاط فی شأنه.

– وبالألم الذی له العرش وبساقی الکوثر بشاه النجف.

– بصاحب القلب المنوّر من الفرح وبأصحاب القلوب الحزينة.

– الحبّ بحقّ العِربيد المسکر العالم بالحقيقة الذی لم يتخذ سِوی طريق السلوک.

ويريد أن يوصل الإنسانَ من المجاز إلی الحقيقة ومن الکثرة إلی الوحدة، ويمنحه قلباً واعياً ونفساً عارفة:

بـــه ميـــخانه وحـدتم را ده　　دل زنـــده وجـــان آگاه ده
کـــه از کثرت خـلق تنگ آمدم　　به هر جا شدم، سر به سنگ آمدم

– اسمَح لی بالدخول إلی حانِ الوحدة، وامنح لی قلبا واعياً ونفساً عارفة.

– سئمتُ من کثرة الخلق، أينما ذهبتُ لم يُحالفنی الحظُّ.

ويطلب من الربّ أن يعطيه شراباً يجعلُ الجَرَّةَ عاشقةً:

ميئی ده که چون ريزش در سبو　　بـــرآرد سبـــو از دل آواز هو

– ناوِلنی مُدامةً بمجرّد أن تَصبّها فی جَرَّة، تُنادِی الخابيةُ من الجوف يا "هو".

مدامة تجعل کأسَ مدامة (الیقطین) تُنادِی بالوحدانیة:

از آن می که چون ریزش در کدو همـــــه قل هو الله در آید از او

– یخرج من المدامة حین صبّها فی کأس مدامة الیقطین، "قل هو الله أحد".

مُدامة فی وجد وجوی دون أیِّ خابیةٍ أو کأس وسکر:

میئی سر به سر مایه عقل وهـــو شمی بی خُم وشیشه در ذوق وجوش

– مدامة کلُّها صحوٌ ووعیٌ، مدامة فی وجد وجوی دون حباب وکأس.

مدامة تحرّرت منک ومنّی وتطهّرت من کل دنس:

مـــــیئی از مـــن و تو گشته پاک شود جان، چکد قطره ای گر به خاک

– مدامة صافیة خلصت منک ومنّی، مدامة تصبح روحاً وتقطر قطرة ولو علی الثَّری.

إنّ هذه المدامةَ التی یطلبها الشاعرُ من الساقی، هی مدامةٌ محللة فی عقیدته ومحرمةٌ علی غیره:

از آن می حلال است در کیش ما کـــه هستی وبال است در پیش ما

از آن می حـــرام است بر غیر ما کـــه خارج مـــقام است در سیر ما

– المدامةُ محلّلة فی مذهبنا إذ هی الحیاةُ والجَناح عندنا.

– المدامةُ محرّمة لغیرنا، لمن هو خارج عن مقام فی سیرتنا.

وأحیاناً تری رضیّ یلجأ فی ساقی نامته إلی معانٍ أخری:

مغـــنی نوای دگر ساز کن دلم تنگ شد مطرب آواز کن

– أیها الملحِّنُ غیِّر اللحنَ فإنّ قلبی اشتاق للّحن فَغَنِّ لنا

***

مغنی سحر شد خروشی بر آر زخامان افسرده جوشی بر آر

– أیها المطربُ حَلَّ الصباحُ، أهتِف بأعلی صوتک وتَهیَّج اهتیاجاً.

ثم یشکو کسائر الساقی نامات من هذا العالم الملیء بالتزویر والحیلة والریاء ویطلب النجاةَ والتخلّص من الطریق الضیق الذی رسمه هذا العالَمُ المجازی:

برون ها سفید ودرون ها سیاه فغان از چنین زنـــــدگی آه آه

همه سر برون کرده از جیب هم　　هـــنرمند گردیده در عیب هم
خروشیم برهم چو شیر وپـلنگ　　هـمه آشتی های بدتر ز جنگ

– الظواهرُ بیضاءُ والبواطن سَوداء، آه من حیاةٍ کهذه.

– الکلُّ یَتدخَّل فی أمر الآخَر والجمیعُ أصبح فناناً فی إظهار عیوب الآخرین.

– یثورُ بعضُنا علی الآخر کالحیونات المفترسة، والمصالحاتُ أسوأ من الحروب... .

وفی النهایة یمدح الشاه عباسَ الکبیر، مُبدیاً إخلاصَه وحبه لأمیر المؤمنین علیٍّ بنِ أبی طالب (ع):

بخور می که در دوره عبـاس شاه　　بـــه کـــاهی ببخشند کوهی گناه
سکندر توان و سلیـــــمان شدن　　ولـــی شاه عبـــــاس نتوان شدن
سگش بر شهان دارد از آن شـرف　　کـــــه باشد سگ آستان نـــجف
الهی بـــــه آنـــان که در توگمند　　نـــهان از دل ودیـــده ی مردمند
نـــگهدار ایـــن دولت از چشم بد　　بـــکش مـــــد اقبـــال او تا ابد
رضی روز محشر علی ساقی است　　مـکن ترک می تا نفس باقی است

– اشرَب المُدامةَ فإنّ فی الفترة العباسیة، یُغفَر الذنبُ وإن کان کبیرا.

– بالإمکان أن یصبح الإنسانُ اسکندرَ وسلیمانَ، ولکن لایمکن أن یکون شاه عباس.

– یکفی لکلبه شرفا علی الملوک کونه فی عتبة النجف الأشرف.

– إلهی أقسِمُک بالذین فیک هائمون، البعیدین عن قلوب الناس وعیونهم.

– احفظ هذه الدولةَ من عیون الحسّاد ومُدَّ بعمرها إلی الأبد.

– یا رضیّ اعلم أنّ علیاً هو الساقی یوم القیامة، فلاتترک المدامةَ إلی الأبد.

رغم أنّ بعضَ الباحثین اعتبروا رضیّ الدین آرتیمانیّ ضمنَ الشعراء المتوسطین ولم یعترفوا بمقامه العرفانیّ الخاص به، لکن حسب ما قال هرمان آتیه إذا لم یُنشِد رضیّ شعراً غیرَ ساقی نامة وسوکند نامة، فلم یُغیِّر ذلک شیئاً فی مقامه الأدبی والعرفانیّ الذی اشتهر بهما فی عصرنا الحالی.

النتیجة

عاصرَ الشاعرُ رضیّ الدین آرتیمانیّ فی فترة من حیاته الشاه عباس. فتُعتبر فترةُ الصفویین مِن أهمّ الفترات التاریخیة فی إیران، حیث بدأت بنهضة الصفویین إلا أنّ سیطرةَ العلماء والفقهاء فیما بعد، حوَّلت الأوضاعَ إلی فترة عصیبة لأهل التصوف مما حالت دونَ تطویر الخانقاه.یدلّ الوجدُ والسرور الناتجان عن الأفکار العرفانیة فی شعر رضی علی سلوکه العرفانیّ؛ فإنّ المحبوب فی دیوان أشعاره هو ذات الباری تعالی حیث إنّ هدفه الوحید هو الوصول إلی الحضرة الإلهیة.وأخیرا یمکن دراسةُ شعر رضیّ من حیث اللغة والمکان فی إطار الأسلوب الهندیّ أو المذهب الهندیّ.

المصادر والمراجع

آتیه، هرمان. لاتا. *تاریخ ادبیات فارسی (تاریخ الأدب الفارسی)*، ترجمة رضا زاده شفق. طهران: لانا.

آرتیمانی، رضیّ الدین. ۱۳۶۵ش. *دیوان*. باهتمام محمد علی إمامی. طهران: خیام.

آرتیمانی، رضیّ الدین. ۱۳۷۴ش. *دیوان*. باهتمام أحمد کرمی. طهران: لانا.

حافظ. ۱۳۶۷ش. *دیوان*. تصحیح قزوینی وغنی. باهتمام ع. خربزه دار. طهران: أساطیر.

شیروانی، زین العابدین. لاتا. *بستان السیاحة*. لانا.

صفا، ذبیح الله. ۱۳۷۳ش. *تاریخ ادبیات در ایران (تاریخ الأدب فی إیران)*. مجلد ۳ و۵. طهران: فردوس.

قدرة الله، مولانا محمد. لاتا. *تذکرة نتائج الأفکار*. هند: لانا.

کلجین، أحمد. لاتا. *تذکره میخانه (تذکرة الحانة)*. تصحیح أحمد کلجین. طهران: لانا.